

دير القديسة دميانه للراهبات ببراري بلقاس

من أحداث الميلاد المجيد

تأملات في قصة الرعاة

لمثلت الرحمات نيافة الأنبا بيشوي

تقديم

نيافة الأنبا ماركوس

أسقف دمياط وكفر الشيخ والبراري

ورئيس دير القديسة دميانه بالبراري

إعداد راهبات دير القديسة دميانه

تقديم

"يُخْرِجُ مِنْ كَنْزِهِ جُدُداً وَعُتَقَاءً" (مت ١٣ : ٥٢).. "وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمُ
بَعْدُ" (عب ١١ : ٤).

بعلم متنوع ومنتسح مع تفاسير كثيرة ودقيقة تعلّمنا من أبينا مثلث
الرحمات نيافة الحبر الجليل سيدنا الأنبا بيشوي ومازلنا نتعلم من
كنوز علمه ومعرفته الغزيرة في مجموعة من الكتب تصدر عن
موضوعات مختلفة من عظات وتعاليم لسيدنا المطران الأنبا بيشوي
يقوم بتجميعها وإعدادها للطباعة والنشر الأمهات راهبات دير
القديسة العفيفة دميانه؛ وذلك لنستشق منها عطر رائحة كاتبها،
ومن علمه الغزير، وما علّم به طوال نصف قرن هي سنوات خدمة
نيافته وذلك وفاءً و عرفاناً بتعب نيافته في تعمير الدير وإعادة الحياة
الرهبانية به والاهتمام بالحياة الروحية داخل الدير بأبوة حانية
ورعاية كاملة حتى أصبح الدير من أكبر وأقدم الأديرة الأثرية
للراهبات في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

نطلب من ربنا يسوع المسيح أن يكون لإصدار هذه الكتب الفائدة
المرجوة لكل من يقرأ وينهل منها.

بصلوات وشفاعات القديسة العذراء مريم والقديسة العفيفة دميانه
والأربعين عذراء وبصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس
الثاني أطال الله حياته وحفظه للكنيسة ولشعبه.

الأنبا ماركوس

أسقف دمياط وكفر الشيخ والبراري
ورئيس دير القديسة دميانه بالبراري

مقدمة

كان أبونا مثلث الرحمات نيافة الأنبا بيشوي -نيح الله نفسه ونفعنا بصلواته- لا تفوته مناسبة كنسية إلا ويقدم لنا فيها عظة روحية عميقة. وكانت هذه العظات في كل مرة تتميز بأنها تحوي تأملات جديدة لم يسبق لنا سماعها. فحقًا كان ينطبق عليه قول الرب "يُخْرِجُ مِنْ كَنْزِهِ جُذْدًا وَعُتْقَاءً" (مت ١٣ : ٥٢). كان يغوص بنا ويدخلنا معه إلى عمق الأحداث وإلى ما بين السطور، وكنا ننبهر بروح الله المتكلم على فمه، وفي كل مرة كنا نتمنى ألا ينهي الحديث ونريده أن يسترسل ويسترسل لننزل محلقين معه في السماويات.

هذا الكتاب هو عظة ألقاها نيافته للراهبات في دير القديسة دميانه بمناسبة عيد الميلاد المجيد لعام ٢٠٠٨م، وهي تحوي تأملات عميقة في أحداث قصة بشارة الملاك للرعاة، نقدمها هنا لنشرك الجميع معنا في الفائدة الروحية من وراء هذه التأملات العميقة، ولكي تظل تعاليمه وتأملاته سبب فرح وخلاص لكل من يطلع عليها.

ليت هذا الكتاب يكون سبب بركة وفرح روحي لكل من يقرأه
بصلوات صاحب القداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني
وشريكه في الخدمة الرسولية أبينا وأسقفنا المكرم نيافة الأنبا
ماركوس أطال الرب حياتهما سنيًا عديدة وأزمنة هادئة مديدة.

راهبات دير القديسة دميانه

عيد الميلاد المجيد

يناير ٢٠٢١ م

كل سنة وأنتم طيبين..

اليوم هو عيد الميلاد المجيد، وهو تمام تسعة أشهر من عيد البشارة المجيد. والعيد كما أن له تواريخ وطقوس هكذا له معاني.. والتواريخ والطقوس تساعدنا على فهم هذه المعاني والتأمل فيها، فهذه المعاني لابد أن تتلامس مع حياتنا.

رعاة بيت لحم

حينما ولد السيد المسيح كان هناك في هذه الليلة بالذات رعاة ساهرين. هؤلاء الرعاة لم يكونوا أي رعاة بل كانوا الرعاة الذين يرعون الغنم التي تقدّم كذبائح في الهيكل وتدخل أورشليم من باب الضأن. وكانت الغنم التي يراها هؤلاء الرعاة ترمز إلى السيد المسيح لأنها هي التي تقدّم كذبائح في الهيكل.

هؤلاء الرعاة هم رعاة بيت لحم، ورعاة بيت لحم هم نسل الرعاة الذين كانوا زملاء داود النبي والملك وأقارب السيد المسيح بالجسد لأنهم من نسل داود، لأن بيت لحم كانت هي مدينة الملك. أورشليم هي مدينة ملكه لكن مدينة أسرته هي بيت لحم وهي مسقط رأسه، وكانت أملاك الملك داود في بيت لحم.

يقول الكتاب: "وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ، أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتَ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، لِأَنَّ مِنْكَ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرَعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ" (مت ٢: ٦، أنظر مي ٥: ٢).

وحيثما سأل شاول داود من هو قال له: "ابْنُ عَبْدِكَ يَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ" (اصم ١٧: ٥٨). وحيثما ذهب يوسف ليكتتب قال معلمنا لوقا البشير: "فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ" (لو ٢: ٤).

وعبارة "مَدِينَةِ دَاوُدَ" تدل على أن داود بعد أن صار ملكًا على اليهودية وإسرائيل صارت مدينة بيت لحم تعتبر ملكًا للملك، تدعى "مَدِينَةِ دَاوُدَ" ليس فقط لأنه ولد فيها، لكن أيضًا لأن أملاك الملك كانت هناك. والملك في ذلك الزمان لم يكن يملك عدة أفدنة بل كل حيز المدينة، بمعنى الحيازة الزراعية أو حيازة البلد كلها.

إن هؤلاء الرعاة الذين ظهر لهم الملاك لم يكونوا أناسًا عاديين. وكما قلنا إن أغنام هؤلاء الرعاة هي التي كانت تُقدَّم كذبائح في الهيكل. ولأن بيت لحم قريبة من أورشليم في منطقة اليهودية، فرعاة

بيت لحم أولى بتقديم الخراف التي تقدّم كذبائح في الهيكل والتي كان الناس يشترونها ليقدموها كذبائح في الهيكل.

هؤلاء الرعاة كما قلنا هم من أسرة داود إما من نسله أو من أقاربه، لذلك كانوا منتظرين المسيح باعتباره ابن داود. تتذكروا لما السيد المسيح دخل إلى أورشليم واستقبل كملك كانوا يقولون "مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةٌ أَبِيْنَا دَاوُدَ الْآتِيَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ" (مر ١١ : ١٠)، "أَوْصَنَا لِابْنِ دَاوُدَ" (مت ٢١ : ٩، ١٥) وأوصنا هي "هوشعنا" وتعني "خلصنا".

ولماذا قالوا: "لابن داود"؟ لأن الناس خاصة أهل بيت لحم كانوا يعرفون أن المسيح هو ابن داود، وأن المسيح سيأتي من نسل داود وأنه قريبهم. وحينما ظهر الملاك للسيدة العذراء قال لها: "يُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهَ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ" (لو ١ : ٣٢). فالملاك نفسه سمى يسوع المسيح ابن داود. وفي الأصحاح الأخير من سفر الرؤيا يقول السيد المسيح: "أَنَا الْأَصْلُ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ" (رؤ ٢٢ : ١٦).

انتظار المسيح في منطقة اليهودية

كان انتظار السيد المسيح له كثافة خاصة في منطقة اليهودية وخاصة في بيت لحم. ولذلك يقولون عن يوحنا المعمدان حينما حدثت المعجزات التي ارتبطت بميلاده: "وَتُحَدِّثُ بِهِذِهِ الْأُمُورِ

جَمِيعَهَا فِي كُلِّ جِبَالِ الْيَهُودِيَّةِ فَأُودِعَهَا جَمِيعُ السَّامِعِينَ فِي قُلُوبِهِمْ"
(لو ١: ٦٥، ٦٦). لماذا بالتحديد جبال اليهودية؟

من المعروف أنه كانت هناك مملكتان: مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل. وجبل صهيون الذي بنيت عليه مدينة أورشليم هو من جبال اليهودية. كل منطقة اليهودية هذه هي التي ملك عليها داود قبل أن يملك على باقي أسباط إسرائيل. ولما أساء رحبعام ابن سليمان استخدام سلطته انشقت عنه مملكة إسرائيل، فصارت هناك مملكة تسمى مملكة يهوذا ملوكها من نسل داود وأخرى تسمى مملكة إسرائيل (انظر ١ مل: ١٢)، وهي مملكة مستقلة مكونة من عشرة أسباط عاصمتها السامرة.

فاليهودية بصفة خاصة هي التي كانت مرتبطة بداود أكثر من بقية المساحات التي تمثل المملكة الكاملة أي الاثني عشر سبطاً، وبالأكثر جدًّا بيت لحم لأنها مدينة داود.

لذلك نقول إن هؤلاء الرعاة كانوا "مُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ" (لو ٢: ٣٨)، كما قيل عن حنة بنت فنوئيل النبية بعد ولادة السيد المسيح أنها: "وَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ، وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ" (لو ٢: ٣٨).

وحنة النبوة لم تتكلم فقط بل "وَقَفَّتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ". إذن انتظار الفداء في جبال اليهودية أو في منطقة اليهودية كان مرتبطاً بشيء آخر وهو التسبيح.

هؤلاء الرعاة يمثلون فئة من الناس تعيش حياة السهر والتسبيح "يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ" (لو ٢ : ٨). لهذا لم يتمتع أحد في الكرة الأرضية كلها بمشاهدة الجماهير السماوية التي احتفلت بميلاد المسيح سواهم.. لقد تميزوا بهذه الميزة الخاصة بأنهم وحدهم على كوكب الأرض كلها: ظهر لهم الملاك، ومجد الرب أضاء حولهم، وعانوا جمهور الجند السماوي وهم يسبحون الله وسمعوا تسبيحهم، بل ذهبوا بأنفسهم لأخذ البركة، وليروا بأعينهم المسيح الرب المخلص، ويكونوا الزوار القادمين للتهنئة بميلاد السيد المسيح.

لقد أخذ القديس يوحنا المعمدان كرامة كبيرة جداً بأنه هو من عمّد السيد المسيح. كما إن المجوس الذين قدموا ثلاث هدايا أخذوا بركة كبيرة جداً لأنهم هم من سجدوا للسيد المسيح وقدموا له الهدايا الرمزية التي ترمز إلى ملكه وكهنوته وآلامه، أما هؤلاء الرعاة فقد أخذوا ميزة خاصة لم يتميز بها أحد آخر على وجه الأرض كلها هي إنهم كانوا أول المهنيين بالميلاد، ليس هذا فقط بل كانوا هم

وحدهم من شاركوا السمائيين في فرحة الميلاد، فالتسبيح له بركات كثيرة..

شركة السمائيين والأرضيين

من يسهر للتسبيح لابد أن يعرف أنه يأخذ ميزة خاصة تميزه عن سائر سكان أركان المسكونة وهي أنه يصير زميل الملائكة في حياة التسبيح. ونحن نقول في القداس الإلهي: "أعطيت الذين على الأرض تسبيح السيرافيم".

فمع أحداث الميلاد التي نعيشها في هذه الأيام يجب أن نعرف أن صلاة منتصف الليل لها ملاك معونة خاص، والتسبحة الليلية التي تُصلى في كل ليلة لها جماهير من الملائكة. لذلك نقول في نهاية التسبحة اليومية: "يا ملاك هذه الليلة الطائر إلى العلو بهذه التسبحة اذكرنا قدام الله".

وعبارة "يا ملاك" هنا هي عبارة رمزية لأنه ليس ملاكًا واحدًا بل هم في الحقيقة "رَبَوَاتِ رَبَوَاتِ (مئات الملايين) وَأُوفَ أُوْفَ (ملايين)" (رؤ ٥ : ١١ ، دا ٧ : ١٠) تهف على المسبحين. ونظرًا لقلة التسابيح في هذا الزمان فأين سيذهب هؤلاء الألوف والربوات من الملائكة إلا ليهفوا على المناطق المملوءة بالتسابيح والصلوات لكي تكون

هناك شركة بين السمايين والأرضيين. لن يذهبوا طبعًا إلى أماكن
اللهو وشرب الخمر وغيرها.

ليجمع كل شيء في المسيح

يقول معلمنا بولس الرسول في رسالته إلى أهل أفسس عن السيد
المسيح: "مُبَارَكُ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَاتِهِ
رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ. كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ
العَالَمِ، لِنَكُونَ قَدِيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَا
لِلتَّبَتِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ
الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ، الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ
الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ، الَّتِي أَجْزَلَهَا لَنَا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ، إِذْ
عَرَفْنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ، لِتُدْبِيرِ
مِلءِ الأزمنةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
عَلَى الأَرْضِ، فِي ذَاكَ الَّذِي فِيهِ أَيْضًا نَلْنَا نَصِيبًا، مُعَيَّنِينَ سَابِقًا
حَسَبَ قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ، لِنَكُونَ لِمَدْحِ
مَجْدِهِ، نَحْنُ الَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي الْمَسِيحِ" (أف ١ : ٣-١٢).

عبارة "في السماويات" تدل على أن السماويات داخل الموضوع.

ويقول معلمنا بولس الرسول هنا: "التدبير ملء الأزمنة" ويقول في رسالته إلى أهل غلاطية: "ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبري" (غل ٤ : ٤ ، ٥). معروف أن "ملء الزمان" أو "ملء الأزمنة" هو التجسد الإلهي. ماذا يعني هذا؟

يقول معلمنا بولس الرسول: "ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السماوات وما على الأرض". إنه شيء جميل جدًا أن نفهم أن تدبير الخلاص ليس هو فقط مجرد إنقاذ البشرية من الهلاك الأبدي لكن له أبعاد متعددة من ضمنها أن يجعل هناك شركة بين السمايين والأرضيين. وهذا ما نقوله في صلاة الصلح في القداس الغريغوري: "وصالحت الأرضيين مع السمايين وجعلت الاثنين واحدًا وأكملت التدبير بالجسد".

"ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السماوات وما على الأرض، في ذلك الذي فيه أيضًا نلنا نصيبًا، معينين سابقًا حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته". إذن شركة السمايين والأرضيين لها بُعد خطير في حياة الكنيسة لذلك لا نستطيع أن نتجاهل هذا الحدث الخطير في الميلاد.

جَمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مَسْبُوحِينَ

عند عودة يعقوب أبو الآباء من عند خاله لابان لاقاه جيش من الملائكة فقال: "هَذَا جَيْشُ اللَّهِ. فَدَعَا اسْمَ ذَلِكَ الْمَكَانِ مَحَنَائِمَ" (تك ٣٢: ٢)، لكن لم يذكر ماذا قال هذا الجيش من الملائكة أو ماذا عملوا. وأليشع النبي قال لجيحزي: "لَا تَخَفْ، لِأَنَّ الَّذِينَ مَعَنَا أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُمْ". وَصَلَّى أَلِيشَعُ وَقَالَ: "يَا رَبُّ، افْتَحْ عَيْنَيْهِ فَيُبْصِرَ. فَفَتَحَ الرَّبُّ عَيْنَيْ الْغُلَامِ فَأَبْصَرَ، وَإِذَا الْجَبَلُ مَمْلُوءٌ خَيْلًا وَمَرْكَبَاتٍ نَارٍ حَوْلَ أَلِيشَعِ" (٢مل ٦: ١١، ١٧). كان يرى الجبل مملوءًا خيلًا ومركبات نار لكنه لم يسمع تسابيح.

أما جمهور الجند السماوي الذي ظهر في ليلة الميلاد لهؤلاء الرعاة الساهرين فيقول عنهم معلمنا لوقا البشير: "وَوَظَّهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلَائِكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مَسْبُوحِينَ اللَّهُ وَقَائِلِينَ: الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ" (لو ٢: ١٣، ١٤).

مَلَائِكَةُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ

هذا المشهد يحتاج نوعًا من التأمل قليلاً. يقول معلمنا لوقا البشير: "وَإِذَا مَلَائِكَةُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ" وعبارة "وَقَفَ بِهِمْ" إما تعني أنه وقف

على الأرض أو أنه كان فوق الأرض بمسافة بسيطة ربما نصف متر أو متر لأنه لم يقل "وقف فوقهم". بمعنى أن الملاك اقترب منهم جدًا وكانوا يرونه أمامهم وجهًا لوجه.

وأضاف: "وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا". كان المشهد رائعًا إذ كان الملاك يبرق كالبرق كما قيل عن ملاك القيامة "وَكَانَ مَنظَرُهُ كَالْبَرْقِ" (مت ٢٨ : ٣). طبعًا اضطرب الرعاة.. لذلك قال لهم الملاك "لَا تَخَافُوا"..

اضطرب الرعاة لأن الإنسان قبل إتمام الفداء على الصليب كان إن رأى ملاكًا يظن أنه ربما أتى لينتقم منه أو ليعاقبه لأن المصالحة لم تكن قد تمت بعد بين السماء والأرض، فظهور السمائيين كان أحيانًا مرعبًا. مثلاً نسمع عن ملاك واحد في ليلة واحدة قتل مئة وخمسة وثمانين ألفًا من جيش سنحاريب (انظر ٢ مل ١٩ : ٣٥). فالبشر في إحساسهم بالغربة - حيث لم تكن المصالحة بين السماء والأرض قد تمت بعد- كانوا من الممكن أن يرتعبوا من رؤية الملاك. وزكريا الكاهن أيضًا حينما رأى ملاك الرب واقفًا عن يمين مذبح البخور: "اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ" (لو ١ : ١٢) فقال له الملاك: "لَا تَخَفْ يَا زَكْرِيَّا، لِأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ

أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. وَيَكُونُ لَكَ فَرْحٌ وَابْتِهَاجٌ،
وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلَادَتِهِ" (لو ١ : ١٣ ، ١٤).

وقول الملاك للرعاة "لا تخافوا" ولزكريا "لا تخف" كأنه يقول: أنا لم
آت لأذيتكم.. اطمئنوا فليس هناك ما يدعو للخوف..

لقد كان الرعاة يسبحون ويتأملون في النبوات التي تشير إلى مجيء
المخلص. من الأدلة التي تثبت أنهم كانوا يسبحون أن الملاك قال
لهم: "ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب" (لو ٢ : ١٠)،
فلماذا اختصهم هم بالفرح الذي يخص جميع الشعب؟ لأنهم كانوا
في شركة تسبيح معينة مع السمائيين.

وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ

هناك بعد آخر في هذا المشهد نريد أن نتأمل فيه قليلاً، فمعلمنا
لوقا البشير يقول: "وَوَظَّهَرَ بَعْتَهُ مَعَ الْمَلَائِكِ جُمُهورٌ مِنَ الْجُنْدِ
السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ
السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ" (لو ٢ : ١٣ ، ١٤)، ثم قال: "وَلَمَّا مَضَتْ
عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ. قَالَ الرِّجَالُ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:
لِنَذْهَبِ الْآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرَ هَذَا الْأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمْنَا بِهِ
الرَّبُّ" (لو ٢ : ١٥).

ماذا تعني عبارة: "مَضَتْ عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ". البعض ممن يقرأون حدث ظهور الملائكة للرعاة يظنون أن الملائكة كانت بعيدة في السماء والرعاة استطاعوا أن يسمعوا صوتهم. لكن البشير قال: "لَمَّا مَضَتْ عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ"، وقال: "مَلَأَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ" بمعنى أنه كان قريبًا جدًا منهم، ثم قال: "وَوَظَّهَرَ بَعْتَةً مَعَ الْمَلَائِكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ" وهذا يعني أن هذا الجمهور من الملائكة اقترب من الأرض مع الملاك الذي وقف بهم.

لم يكن جمهور الملائكة مثل سحابة تمر في العلاء لكنهم اقتربوا جدًا من الأرض، لذلك قال "لَمَّا مَضَتْ عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ" وليس الملاك. في البداية ظهر لهم ملاك واحد فقط وبشرهم -ربما رئيس هذه الطغمة وهو غالبًا الملاك جبرائيل طبعًا- وقد أمضى وقتًا أطول معهم، ثم أتت طغمته، فلما انصرف الملاك انصرف معه الجيش الخاص به.

أتى هذا الجيش واقترب جدًا من الرعاة. ما هذا المشهد العجيب؟! كأننا أمام سلم يعقوب الذي كانت الملائكة طالعة ونازلة عليه. يذكر سفر التكوين أن يعقوب "رَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ مَنصُوبَةٌ عَلَى

الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلَائِكَةُ اللَّهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا. وَهُوَذَا الرَّبُّ وَقِفْ عَلَيْهَا" (تك ٢٨ : ١٢ ، ١٣).

نعم.. لابد أن تتحقق النبوة...

في ليلة ميلاده لابد أن يكون سلم يعقوب موجودًا..

حينما قال معلمنا لوقا البشير: "ظَهَرَ بَعْتَةً مَعَ الْمَلَائِكِ" هذا معناه أن الملائكة نزلوا وربما تلامسوا مع الأرض، ثم قال: "مَضَتْ عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ" أي صعدوا إلى أعلى. إذن حدث منظر السلم الذي رآه يعقوب في الحلم: "مَلَائِكَةُ اللَّهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ".

وكان الرعاة محاطين بسحابة من النور لأن معلمنا لوقا البشير يقول: "مَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ". وكلمة "حَوْلَهُمْ" تعني أن الملائكة لم يأتوا من ناحية واحدة بل عملوا دائرة circle حولهم، فدخل الرعاة في حيز من النور. ويبدو أن الملائكة حينما نزلوا داروا في هذه الدائرة ثم صعدوا.

والدليل أيضًا على ذلك أنهم قالوا: "الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي" لأنهم أتوا من السماء وعادوا إلى السماء، لكنهم أضافوا "وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ".. فهل يرضى الملائكة أن يمشوا على الأرض؟ هذه الأرض التي قال عنها الله لآدم "مَلْعُونَةٌ الْأَرْضُ بِسَبَبِكَ" (تك ٣ : ١٧). لكن

الأمر يختلف الآن طالما أن ملك الملوك ورب الأرباب قد وُلد على كوكب الأرض فنحن يمكننا أن نمشي على الأرض لأنه حيثما يوجد الملك فهناك خدامه.

وهذا ما قاله السيد المسيح لنتنائيل.. فحينما قال نتنائيل للسيد المسيح: "أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ" (يو ١ : ٤٩). "أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: هَلْ آمَنْتَ لِأَنِّي قُلْتُ لَكَ إِنَّي رَأَيْتُكَ تَحْتَ التِّينَةِ؟ سَوْفَ تَرَى أَعْظَمَ مِنْ هَذَا! وَقَالَ لَهُ: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنْ الْآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَمَلَائِكَةَ اللَّهِ يَصْعَدُونَ وَيُنزِلُونَ عَلَى ابْنِ الْإِنْسَانِ" (يو ١ : ٥٠، ٥١).

أنه أمر عجيب حقًا.. لقد بدأ السلم ليلة الميلاد واستمر ولم يتوقف. ظلت السماء مفتوحة والملائكة صاعدة ونازلة.

مثال: إذا ذهب رئيس الجمهورية لزيارة مكان تجدون أعدادًا هائلة من قوات الأمن المركزي ومباحث أمن الدولة والحرس الجمهوري، ويفتشون كل الأماكن، ولا تتوقف السيارات والدراجات البخارية والتليفونات عن متابعة الموكب. إنه رئيس دولة.. تتقلب الدنيا لمجيئه..

هكذا طوال مدة وجود السيد المسيح على الأرض كانت السماء في حالة غير عادية إطلاقًا. كان الملائكة السمائيون يعتبرون الأرض

مثل منتزه، كأن سماءً ثانية فُتحت لهم على الأرض، فتحولت الأرض إلى سماء.

لقد تعانقت الطبيعة الإلهية مع الطبيعة البشرية بغير فساد في شخص السيد المسيح. وتعانقت السماء مع الأرض، وتعانقت الأزلية مع الزمن، وتعانق السماويون مع الأرضيين. حصلت حالة تلاحم. لذلك يقول: "وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ" فالملائكة كانت حولهم وتحيط بهم من كل الاتجاهات. كما يقول المزمور: "مَلَائِكَةُ الرَّبِّ حَالٌ حَوْلَ خَائِفِيهِ، وَيُنَجِّيهِمْ" (مز ٣٤: ٧)..

أغلب الناس يظنون أن جمهور الجند السماوي مر كسحابة لكن المشهد هو أن هذا الجمهور من الملائكة كان يدور حول الرعاة في المجد الذي أضاء حولهم، ثم صعد إلى السماء ثانية. إنه حقًا مشهد رائع لا أعرف إن كان أحد يستطيع أن يصوره أم لا.

قال الملاك للرعاة: "هَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ"؛ ويقول السيد المسيح: "يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ" (لو ١٥: ٧)؛ ويقول: "يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ" (لو ١٥: ١٠)، فما بال لما يولد رب الأرباب نفسه؟؟

ما طبيعة الفرح الذي حدث وقتها؟

الملاك بشر الرعاة "بِفَرَحٍ عَظِيمٍ"، لكن أين هو الفرح؟
حينما يُزَوِّج شخص ابنه يعمل أنوارًا وموسيقى واحتفالات فماذا
حدث في ميلاد ابن الله؟
طبعا هذه الدائرة من الملائكة التي أحاطت بالرعاة كانت تسبح
وتتهلل بفرح عظيم.

لكن هل يا ترى كانوا يدورون وهم على الأرض ثم صعدوا أم كانوا
ينزلون ويصعدون وهم يدورون في تماوج حتى لا يظن الناظر أنهم
كائنات أرضية؟.. هذا السؤال إجابته عند الرعاة..

النص الإنجيلي واضح في قوله: "وَإِذَا مَلَائِكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ" وعبارة
"وقف بهم" أي وقف في نفس الموضع أو وقف أمامهم، وليس
"وقف فوقهم". الذى "وقف فوق" هو الملاك الذى ظهر في شكل
نجم وأرشد المجوس للمكان، هذا "وَقَفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ"
(مت ٢ : ٩).

إن كان أحد له رأي آخر ويقول إن الملائكة داروا في السماء وليس
حول الرعاة سنتركه لحرите ولن نلزمه برأينا، لكن في هذه الحالة لن
يكون سلم يعقوب قد تحقق بنفس الصورة التي رآها يعقوب في
رؤياه.

المَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ المَسْرَةَ

سمع الرعاة تسبحة الملائكة: "المَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ المَسْرَةَ" وهذه العبارة لها ارتباط بالثلاث تقديسات Trisagion أي "قدوس قدوس قدوس" وهي مذكورة في الأصحاح السادس من سفر إشعياء. ونحن دائماً نردد تسبحة الثلاث تقديسات في صلواتنا الليتورجية وصلواتنا اليومية.

إن الملائكة دائماً تسبح وتقدّم الذكصا أو التمجيد للثالوث، كما نقول: "المجد للآب والابن والروح القدس"، "ذكصابتري كي إيو كي أجيو بنفماتي".

وتسبحة الملائكة: "المَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ المَسْرَةَ" مكونة من ثلاث فقرات، من الممكن أن تؤخذ على أنها تسبحة ثالوثية تعني: المجد لله الآب في الأعالِي، وعلى الأرض السلام بسبب المصالحة التي يتمها الابن بتجسده، وبالناس المسرة لأن من ثمر الروح محبة وفرح وسلام (انظر غل ٥: ٢٢) فالروح القدس هو روح المسرة الذي يملأ قلوب المؤمنين.

لكن هذا لا يمنع أن نفهم أن عبارة "المَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي" وحدها هي أيضاً تمجيد للآب والابن والروح القدس، وأن السلام هو سلام

بين الآب والابن والروح القدس من ناحية وبين العالم من الناحية الأخرى، وأن المسرة هي في شركة الثالوث القدوس أيضًا. إلا أننا لا نستطيع أن نتجاهل المعنى الذي كانت تردده الملائكة. فليس معنى أن المسيح تجسد على الأرض أن تتسى الملائكة أنها لا بد أن تمجد الله الساكن في الأعالي. وليس معنى أنهم يمجدون المسيح الذي جاء ليصنع السلام باعتباره رئيس السلام وملك السلام، أن ينسوا أهمية إرسال الروح القدس ليوصل جميع بركات ومفاعيل الخلاص للكنيسة فيما بعد. والروح القدس أيضًا يُعَلِّم الملائكة ما يقولون. كما قال السيد المسيح لتلاميذه عن الروح القدس: "يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرْكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ" (يو ١٤ : ٢٦). إن الأطفال حينما استقبلوا السيد المسيح في أورشليم قال السيد المسيح لرؤساء الكهنة: "إِنْ سَكَتَ هَؤُلَاءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ" (لو ١٩ : ٤٠) "أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الْأَطْفَالِ وَالرُّضْعِ هَيَّاتٌ سُبْحًا" (مت ٢١ : ١٦). وعبارة "هَيَّاتٌ سُبْحًا" تعني أن الله هو من وضع التسبيح في أفواه هؤلاء الأطفال. هكذا أيضًا فإن تسبحة: "الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ" هي موحى بها من الله. فهي ليست مجرد عبارة جمالية نَعَجِب لها ونقولها بفرح

فقط، إنما تحمل وراءها معنىً لاهوتياً ضخماً جداً وهي تلخص كل تدبير الخلاص الذي دبّره الثالوث الأقدس:

المجد لله الآب في الأعالي الذي أرسل ابنه الوحيد، والذي أعطى موعد الروح القدس لكي يفرح قلوب القديسين كما قال السيد المسيح: "مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارٌ مَاءٍ حَيٍّ" (يو ٧: ٣٨).

حينما تسهرون في صلوات التسبيح باستمرار وتواظبون على ذلك يمتلئ المكان كله بالملائكة. وكلما زاد التسبيح زادت أعداد الملائكة، لأن الملائكة أثناء مرورهم حينما يسمعون التسابيح يقول كل منهم كما قال موسى النبي "أَمِيلُ الْآنَ لِأَنْظُرَ هَذَا الْمُنْظَرَ الْعَظِيمَ" (خر ٣: ٣). فقد قيل عن الملائكة: "أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لِأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلَاصَ" (عب ١: ١٤).

حراس بأيديهم نار

كانت هناك سيدة غير مسيحية عليها أرواح شريرة أتت إلى دير القديسة دميانه في مارس ٢٠٠٥م، أحضروها لي لكي أصلي لها، وبمجرد أن رفعت يدي لأسلم عليها وقعت على الأرض وارتطمت

رأسها بالأرض. هذه السيدة تحاضر في إحدى الكليات وقيل لنا إنها تقع على الأرض أثناء إلقاء المحاضرات.. فصليت المزمور "أنا الصغير في إخوتي" ومزمور "مرارًا كثيرة حاربوني منذ صباي" ثم قلت للآباء الكهنة: "خذوها عند قبر الست دميانه وصلوا المزامير لأن موضوعها يحتاج وقت". وأنا وقتها كان عندي التزام هام بشرح العقيدة المسيحية لا يمكن تأجيله.

لما دخل الآباء بهذه السيدة إلى قبر القديسة دميانه رأت هي القديسة دميانه والأربعين عذراء داخل القبر بملابس بيضاء، وظلت تصرخ بشدة حتى تجمهر الناس فاضطر الآباء أن ينزلوا بها إلى الكنيسة الأثرية، فغابت عن الوعي لكنها كانت تتكلم بما ترى. رأت البابا ألكسندروس بلحية بيضاء طويلة وهو طويل القامة، ويمسك بيده عصا عليها صليب من الماس يضوي، ويمسك صليبًا في يده اليمنى، ويرتدي الملابس الكهنوتية والتي وصفتها بدقة: صدره حمراء مشقوقة من المنتصف وتاج أحمر على رأسه. والتاريخ يقول إن الملكة هيلانة طلبت من البطريك أن يدشن الكنيسة التي بنتها للقديسة دميانه وبها القبر، وكان البطريك وقتها هو البابا ألكسندروس البطريك التاسع عشر في عداد بطاركة الأسكندرية.

الجميل في هذه القصة إن الشيطان الذي كان يتكلم على لسان هذه السيدة قال: "أنا اللي دخلني جواها قال لي ما تخرجش أبدًا.. أنا عندي أمر ما أخرجش.. بس مش قادر!!! الحراس شايلين نار في أيديهم وييلفوا حوالين سور الدير.. مش قادر.. مش قادر"، ثم صرخت السيدة بصوت عظيم جدًا سمعه كل من بالدير، حتى أنها فقدت صوتها من شدة الصرخة وبعدما أفيقت لم تقدر أن تسجل القصة بصوتها فكتبتها بيدها ووقعت عليها.

كانت خالتها معها وهذه سجلت بصوتها كل ما رأت وكل ما سمعت ابنة أختها تقوله. ثم أحضروها لي فصليت على زيت عادي ورشمتها به حتى لا يدخلها الشيطان مرة أخرى.

الحراس الذين يطوفون حول سور الدير وبأيديهم نار سببهم التسبحة التي تُصلى كل ليلة في الدير والصلوات والمزامير والقداسات التي تقام في هذا المكان.

لقد عاشت الشهيدة دميانه مع العذارى الأربعين في هذا المكان، وقدّسته بصلواتها وبدم شهادتها هي والعذارى في التل الأثري الملاصق للدير، ودُفن جسدها مع أجسادهن في القبر الذي بنته الملكة هيلانة، وتتم بصلواتها كثير من المعجزات. لذلك فإن

الملائكة تحب أن تعبر في هذا المكان المملوء بالبركة.. كما أنها تتجذب أيضًا إلى التسابيح والصلوات.

لذلك، إذا حاربكم الشيطان بالضجر من التسبيح كل ليلة تذكروا أن التسبيح هو شركة مع السمائيين، وتذكروا أنكم تجتذبون جماهير الملائكة إلى الأرض ليشاركوا معكم في التسبيح. وإن كنا نحن بالجسد لا نستطيع أن نعمل حركات بالجسد مثلما رقص داود أمام تابوت العهد في العهد القديم، إلا إن الملائكة لأنهم ليسوا في جسد يتصرفون بحريتهم فيعملون حفلة لا يتخيلها أحد وهم يشتركون معنا في التسبيح أثناء طيرانهم في الجو. فيصير الجو معباً بالصلوات والتسابيح وبحركة الملائكة التي لا تنقطع. لذلك يقول في سفر النشيد: "مَاذَا تَرَوْنَ فِي شُولَمِيَّتَ (بنت أورشليم)، مِثْلَ رَقْصِ صَفَّيْنِ" (نش ٦: ١٣). "رَقْصِ صَفَّيْنِ" الخورس البحري والخورس القبلي في تسبحة نصف الليل.

أشواق الرعاة تقودهم

الشيء الغريب الذي حدث بعدما مضت الملائكة عن الرعاة إلى السماء أن: "قَالَ الرَّجَالُ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لِنَذْهَبِ الْآنَ إِلَى

بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرُ هَذَا الْأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمْنَا بِهِ الرَّبُّ" (لو ٢: ١٥).

ربما يسمع أحد خبرًا مفرحًا ويكتفي بأن يفرح بالخبر لكن هؤلاء الرعاة التهبت فيهم الأشواق: كيف يولد مخلص هو المسيح الرب ولا يسرعون لكي يروه؟

حينما قال رؤساء الكهنة للمجوس إن المسيح يولد في بيت لحم لم يفكر أحد منهم أن يذهب ليزوره (انظر مت ٢). الوحيد الذي فكر في الذهاب لرؤيته كان هيرودس وكان هدفه هو أن يذبحه. قيل إن المدينة كلها ارتجت بما قاله المجوس لكنهم لم يستفيدوا شيئًا. أما هؤلاء الرعاة الذين لهم شركة مع السمائيين فقد التهبت في قلوبهم الرغبة في رؤية المخلص. وهذه علامة الحب الحقيقي. ليس مجرد أن نسمع أخبارًا طيبة إنما أن ندخل إلى حبال الملك (انظر نش ١: ٤).

فمن يحضر القداس الإلهي ولا يتناول من الأسرار المقدسة يكون مثل شعب أورشليم الذين قالوا إن المسيح يولد في بيت لحم لكن لم يذهب أحد منهم ليلتقي مع المسيح شخصيًا.

وأنا أتعجب لأن هؤلاء الرعاة لم يحتاجوا أحدًا يدلهم في أية حظيرة يوجد السيد المسيح.

كانت مدينة بيت لحم مليئة بالحظائر، ومع ذلك قيل: "فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ، وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمِدْوَدِ" (لو ٢: ١٦). وصلوا بسرعة، فكيف عرفوا المكان وسط الحظائر الكثيرة؟

لقد صعد الملائكة إلى السماء ولم يدلهم ملاك أو نجم إلى المكان.. لكن القلب المشتعل بالصلاة والتسبيح وشركة السمائيين يمكنه أن يقتني روح النبوة. وهذا هو ما حدث مع سمعان الشيخ ومع حنة بنت فنوئيل اللذان عرفا السيد المسيح دون أن يدلهم أحد. وهذا ما حدث مع أليصابات حينما قالت للسيدة العذراء "مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةٌ بَطْنِكَ" (لو ١: ٤٢).

توجد ترنيمة يقال في أحد أبياتها عن الرعاة:

لم يحتاجوا في الطريق إلى نور أو رفيق

حيث نور الرب أشرق في القلب

المجوس حضروا حكماء وانصرفوا كأنبياء

إن المجوس الذين كانوا حكماء فارس، وقبلوا نبوة دانيال، جذبهم الله عن طريق المناظر التي يفهموها لأنهم يتعاملون مع الكواكب

والأفلاك، فظنوا أن ما رأوه كان نجماً مع أنه كان ملاكاً، هؤلاء احتاجوا من يرشدهم إلى حيث يوجد الصبي. أما بعد أن زاروا السيد المسيح وسجدوا له، فقد أعطاهم الروح القدس روح النبوة فيقول الكتاب: "إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ.. انصَرَفُوا فِي طَرِيقٍ أُخْرَى إِلَى كُورَتِهِمْ" (مت ٢ : ١٢). لقد حضروا كحكماء وانصرفوا كأنبياء. من يعيش حياة التسبيح سيأخذ روح النبوة ليس هذا فقط بل ويستحق أن يرى المسيح.

الإيجابية والإسراع

مجرد أن الملاك ألمح للرعاة: "وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مَقْمَطاً مُضْجَعًا فِي مِدْوَدٍ" (لو ٢ : ١٢)، أي أن العلامة التي أعطاهم لهم ليتعرفوا بها على الطفل المقصود هي إنهم سيجدون طفلاً مقمطاً ومضجعاً في مذود. ومع أن الملاك لم يأمرهم أن يذهبوا لكن من تلقاء ذاتهم: "قَالَ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لِنَذْهَبِ الْآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرَ هَذَا الْأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمْنَا بِهِ الرَّبُّ" (لو ٢ : ١٥).. إنها الغيرة، والحماس، والإيجابية... "فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ، وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمِدْوَدِ" (لو ٢ : ١٦). إنها الإيجابية...

إن جاءك فقير وقلت له: "مُرْ عَلَيَّ غَدًا فَأَعْطِيكَ"، فاعلم إن الكتاب المقدس قد نهى عن هذا الأمر فيقول: "لَا تَقُلْ لِصَاحِبِكَ: اذْهَبْ وَعُدْ فَأَعْطِيكَ غَدًا وَمَوْجُودٌ عِنْدَكَ" (أم ٣ : ٢٨). أين الإيجابية؟ يجب أن يعمل الإنسان عمل الرب بدون رخاوة لأن الكتاب يقول: "مَلْعُونٌ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلَ الرَّبِّ بِرِخَاءٍ" (إر ٤٨ : ١٠).

الإيجابية في الإسراع إلى إتمام القانون الروحي، الإسراع إلى حضور التسبحة والإسراع إلى حضور القداس، وعدم التراخي لأن الكتاب يقول: "الَّذِينَ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي" (أم ٨ : ١٧).

راعي الرعاة وسط الرعاة

ننتقل لنرى مشهد في منتهى الروعة:

راعي الرعاة وسط الرعاة

حمل الله وسط الحملان

إنه بمثابة حفل رائع الرعاة والحملان مع بعضهم البعض.. ويقف الإنسان مبهورًا هل هذا هو الحمل أم هو الراعي، أم هو الحمل والراعي..

وكما كان وهو معلق على الصليب الوسيط بين السماء والأرض، هكذا وهو نائم في المذود كان هو حلقة الاتصال بين الحملان

والرعاة. لأنه في وسط الحملان هو الحمل، وفي وسط الرعاة هو الراعي. وهكذا اجتمع الرعاة والخراف وتحقق قول حزقيال النبي: "أنا أَرْعَى غَنَمِي وَأُرْبِضُهَا" (حز ٣٤ : ١٥).

وهؤلاء الرعاة إلى جوار أنهم رمزيًا كانوا يرمزون إلى السيد المسيح باعتبار إنه راعي الرعاة، فهم أيضًا زملاء السيد المسيح بصورة رمزية لأنه هو راعي الخراف العظيم.

يكمل معلمنا لوقا البشير بقوله عن الرعاة أنهم: "أَخْبَرُوا بِالْكَلامِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هَذَا الصَّبِيِّ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرَّعَاةِ. وَأَمَّا مَرِيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذَا الْكَلَامِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا" (لو ٢ : ١٧-١٩).

تسابيح من رأى خلاص الله

وفي نهاية هذا الحدث يقول البشير: "ثُمَّ رَجَعَ الرَّعَاةُ وَهُمْ يُمَجِّدُونَ اللَّهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ" (لو ٢ : ٢٠). هذا يدل على أن التسبيح بالنسبة لهم لم يكن شيئًا طارئًا أو جديدًا أو غريبًا.

عادوا وهم يمجدون الله ويسبحونه كما قال الملائكة: "الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي"، ونحن نقول في ختام القداس الإلهي: "فلنسبح مع

الملائكة قائلين: الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ،
وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ".

وعبارة "يُْمَجِّدُونَ اللَّهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ
لَهُمْ" تدل على أن تسبيحهم أخذ بُعْدًا جَدِيدًا، فبعد أن كانوا يسبحون
بتسابيح الأنبياء النبوية أصبحت تسابيحهم هي تسابيح اليقين لمن
أبصر ورأى خلاص الله. لم تعد مجرد اشتياقات بل أصبحت
تماجيد وتسابيح لما قد تحقق وتم. وطبعًا لا يستطيع أن يسبح إلا
من كانت هذه عادته من قبل.

✠
لَيْتَا نَضْحُو وَيَصْحُوا قَلْبُنَا
قَبْلَمَا نَمْضَى وَتَبْقَى لَيْتَنَا
(من الشعر الروحي لقداسة
البابا شنودة الثالث)
مع إشراقة العام الجديد
يُشْرِقُ عَلَيْنَا الرَّبُّ بِمِلَادِهِ الْمَجِيدِ
وَيَدْعُونَا إِلَى مَلَكُوتِهِ الْعَتِيدِ

بِسْمِكَ

مطران دسباط وكفر الشيخ والبري